مناهج التأريخ للأدب العربى فى العصر الحديث

(١٨٥٠-١٩٢٧م)

دكتور

إبـراهيـم محمد منصـور

كلية الآداب - جامعة طنطا

٢٠٠١

مناهج التاريخ للأدب العربى فى العصر الحديث

(١٨٥٠-١٩٢٧م)

ملخص

يتناول هذا البحث المحاولات الأولى لكتابة " تاريخ الأدب العربى" منذ منتصف القرن التاسع عشر على أيدى بعض المستشرقين، حيث كانت محاولات قاصرة بسبب قلة المصادر المنشورة من ناحية، وعدم تعمق كتابها فى دراسة اللغة العربية والأدب العربى من ناحية أخرى . ثم أفاد جرجى زيدان من هذه المحاولات وكتب تاريخه الأدبى ، وكان معاصراً للألمانى كارل بروكلمان الذى ظل يعمل لأكثر من خمسين عاماً كاملة فى كتابه " تاريخ الأدب العربى" والذى اتبع فيه منهجاً فريداً لم يسبقه أحد إليه ، وفى هذه الأثناء كانت الجامعة المصرية الوليدة هى "الجهة العلمية" التى اتجهت لدراسة الأدب وتاريخ الأدب وغيره من العلوم دراسة منهجية ، وقدم المستشرق الإيطالى "كارلو نالينو" محاضراته فى العام الجامعى ١٩١٠ - ١٩١١م ، وتأثر طه حسين بمنهجه تأثراً واضحاً ، ثم كان كتاب طه حسين " فى الشعر الجاهلى" (١٩٢٦م) وفيه عرض آراءه الجديدة التى أحدثت دوياً هائلا فى الحياة الفكرية والأدبية فى مصر والعالم العربى ، ثم أتبعه بكتابه الذى يعد تعديلاً له وهو "في الأدب الجاهلي"، وكان ذلك كله خاتمة مرحلة أرست قيماً وأصولاً استفاد منها كل من كتب فى تاريخ الأدب العربى بعد ذلك .

"إن الروح التاريخية والمنهج النقدى أدوات سلام "

"لانسون"

(١)

(١-١) برغم أن تاريخ اللغة العربية والأدب العربى ضارب فى القدم ، فإن محاولات كتابة تاريخ الأدب العربى فى العصر الحديث تعد لاحقة وتابعة لتواريخ آداب أخرى، منها الآداب الأوربية ، ولا سيما الآداب الكبرى المعروفة (الإنجليزية والفرنسية والألمانية) ، ففى القرن الثامن عشر شرع الأوربيون فى كتابة تاريخ أدبهم[١]. وفى الثمانينيات من القرن الثامن عشر ظهر تعبير " الأدب الوطنى " فى "ألمانيا" وكتبت تواريخ الآداب الوطنية لا فى " ألمانيا" وحدها ، بل فى "إنجلترا" و "فرنسا" أيضا خلال الفترة نفسها[٢]. ولم يكن الجدل الذى ظل الأوربيون دوما يديرونه حول إمكانية كتابة تاريخ للأدب وجدواه وشروطه ، مانعا لهم من كتابة ذلك التاريخ الأدبى.

والأمر الذى يجب التأكيد عليه ابتداء هو أن الجدل حول " التاريخ الأدبى" ينبع من تقدير الأدب أولاً ، ومن مفهوم محدد للأدب ثانياً ، فهناك من يرى أن "تاريخ الأدب" جزء من تاريخ الحضارة[٣].وبذلك يتسع مفهوم الأدب ليشمل التراث المخطوط والمطبوع الخاص بلغة أو بشعب معين ويكون التاريخ الأدبى أو تاريخ الأدب هو تطبيق مناهج التاريخ على وصف الأدب فى عصر أو عصور متتالية عند شعب واحد أو شعوب مختلفة[٤].

(١-٢) ولا شك أن التقدير الذى يوليه مؤرخ الآداب للأدب هو الذى يجعله يقدر تاريخ الأدب التقدير العالى الذى نلمسه بوضوح فى قول الأستاذ كارلو نالينو C. Nallino (١٨٧٢ -١٩٣٨م) لتلاميذه فى الجامعة المصرية :

"إن شدة الاعتناء بآداب لغتكم الشريفة وتاريخها ، ليست فقط مسألة علمية، بل خدمة لوطنكم يحق عليكم القيام بها ، إن الذى يعين ويصون وحدة أمة هو بالأخص

وحدة اللغة والآداب والأخلاق والأميال والأفكار المتوارثة منذ الزمان القديم دون انقطاع أو انفصال ، فإن أغفلت صيانتها انحدرت الأمة إلى ورطة انحطاطها بل إبطال وحدتها[٥].

وإذا كانت كلمات "نالينو" تحمل شيئاً من التشجيع الذى رأى أن يبثه فى طلاب دولة ناهضة ، وجامعة ناشئة هى الجامعة المصرية الأهلية سنة ١٩١٠ - ١٩١١م ، فإن كلمات أستاذ آخر هو جوستاف لانسون (١٨٥٧ - ١٩٣٤م) الفرنسى تتفق معه فى قيمة التاريخ الأدبى إذ يقول " إن الروح التاريخية والمنهج النقدى أدوات سلام ، وهذه نقطة أخرى ، تساهم بها مزايا النشاط العلمى ، ثم يضيف "إن النقد التقريرى - نقد الأهواء والشهوات - يفرق ، أما " التاريخ الأدبى ، فيجمع ، كما يفعل العلم الذى يستوحى روحه ، وبذلك يصبح وسيلة للتقريب بين المواطنين الذى يباعد ما عداه ، ولهذا أستطيع أن أقول إننا إذا كنا لا نعمل للحقيقة وللإنسانية فحسب فإننا نعمل للوطن[٦].

ولقد تركت روح التقدير العالى لتاريخ الأدب عند هذين الأستاذين أثرها العميق لدى طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣م) ؟ فأفاض فى ذكر محاسن تاريخ الأدب وقيمته ،وشدة الحاجة إليه فى مواضع كثيرة من مؤلفاته ومحاضراته ومقالاته ، وقد حصر طه حسين نفع تاريخ الأدب فى فائدتين اثنتين فقال: وأنت إذا سألت عن هذا التاريخ الأدبى ما قيمته وما نفعه ، رأيت أنه ينبغى أن ننتظر منه أمرين لابد منهما، أحدهما : تاريخى صرف فهو ينبئنا بالأدب وما اختلف عليه من أطوار وما عمل فيه من مؤثرات متباينة بتباين العصور والبيئات، والثانى : يتجاوز التاريخ بعض التجاوز ويهون على طلاب الأدب درس الأدب والتعمق فيه دون أن يضيعوا من وقتهم الشيء الكثير فى تحصيل أشياء لابد لهم من خلاصاتها دون أن يتعمقوا فيها [٧]. وقد يظن من يقرأ هذا الرأى أن طه حسين قد حصر فائدة تاريخ الأدب فى هذه الأغراض "العملية " وأنه لم يجعلها جزءا من تاريخ الأمة يدل على تحضرها فى طور من أطوار

تاريخها وليس هذا صحيحاً على الإطلاق ، فهو قد وعى كل ما يمكن جنيه من "ثمار" التاريخ الأدبى ، وفهم أهدافه فهماً عميقاً كما سيتضح لنا من سطور هذا المقال.

(١-٣) فإذا كان مؤرخ الآداب يتولى مهمة على هذه الدرجة من الخطر، ولها هذا القدر من الأهمية ، فإنه لا يحمل هذه الأمانة ، ويقوم بتلك المهمة الشاقة إلا أن يتسلح لها ، ويتجهز لطريقها الصعب الطويل بزاد كاف من الأدوات ، وتلك الأدوات منها ما هو بديهى كمعرفته بلغة الأدب الذى سوف يسجل تاريخه معرفة جيدة ، ومعرفته بتاريخ تلك اللغة ، ويجب أن يضيف إلى ذلك معرفة ببعض اللغات التى أسهم أصحابها بنصيب فى كتابة شيء يتعلق بلغته ، ولكن هذا كله غير كاف ، لأن مؤرخ الآداب "مضطر أن يلم بتاريخ العلوم والفلسفة والفنون الجميلة ،وتاريخ الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية [٨].

ويتساءل طه حسين – وهو يريد أن يوضح صعوبة مهمة مؤرخ الآداب – قائلا : كيف تستطيع أن تفهم قول أبى نواس:

فقلْ لمن يدَّعى فى العلم فلسفة حفظت شيئا وغابت عنك أشياء

إذا لم تعرف أنه يريد " النظام" فإذا عرفت أنه يريد " النظام فأنت فى حاجة إلى أن تعرف من "النَّظَّام"؟ ولمَ عرَّض به "أبو نواس" . فسترى أن النظام كان من المعتزلة" الذين يقولون : إن صاحب " الكبيرة " مخلد فى النار وإذن فأنت فى فلسفة النظام . وأنت متعمق فى فلسفة المعتزلة ،وأنت مضطر إلى ذلك اضطرارا . مضطر إلى أن تدرس التوحيد واختلاف أهل السنة والمعتزلة فيه ، لتفهم خمرية من خمريات أبى نواس[٩].

وإذا كان مؤرخ الآداب سوف يتولى تفسير المواضع الملغزة فى النصوص الأدبية، فإنه سوف يلتفت كذلك إلى تراث التفسير المتوالى ؛ لأن عملية التفسير والنقد والتقدير لم تنقطع أبداً انقطاعاً كاملاً ... وان وصف هذه العملية هو إحدى مهمات مؤرخ الآداب[١٠].

كما أن مؤرخ الآداب سيواجه صعوبة أشد ؛ لأن من مهامه كذلك أن يتقصى تطور الأنواع الأدبية ، بل تقصى تطور النوع الواحد، وسيكون من مهمته كذلك أن يفسر العمل الواحد مرتبطاً بسواه من الأعمال ، وذلك يدخله فى دائرة أوسع من المعارف ، ومن الفنون ، سوف يدخله فى دائرة التأثير والتأثر على أوسع نطاق لهذه الدائرة "فما من لوحة أو تمثال أو لحن أو كتاب ، إلا ويدخل فى زمرة من الزمر ، شعر المؤلف بذلك أو لم يشعر ، وعلى التاريخ الأدبى أن يضعه فى موضعه من أنواع الأدب وصور الفن ، ثم يزيد أصالته بقياس ما ورث عن غيره ... بعض الكتب بدايات، وبعضها نهايات ، وكثير منها يجمع بين هذا وذاك ، وهذه التأثيرات هى على نهايات ، وكثير منها يجمع بين هذا وذاك ، وهذه التأثيرات والتأثيرات هى على كل حال عنصر أساسى فى تاريخ الأدب"[١١].

(١-٤) لقد تبين لكل من رسم الطريق أمام مؤرخ الآداب ، وحدد مهمته صعوبة ذلك العمل ، وتعدد تلك الأدوات ، حتى قال "لانسون" :" إن فيه ما يبعث الرهبة"[١٢]، ولكن "لانسون" طامن من خوف قرائه ، فدعا إلى العمل الجماعى ،وإلى إنجاز أعمال فردية كثيرة ، يستفيد منها مؤرخ الآداب فى النهاية . وأما "طه حسين " فإنه قد ركز حديثه عن صعوبة مهمة مؤرخ الآداب ، بل استحالتها ، كأنه يصرف الناس عنه ، لما لمسه من الإقدام على خوض ميدانه بغير سلاح ، وكان ذلك فى أول العهد بكتابة تاريخ الأدب العربى فى العصر الحديث ، ولعله كان يرى أن السلاح الوحيد القاطع هو مناهج المستشرقين.

(٢)

(٢-١) وكان القرن التاسع عشر قد شهد عدة ثورات ، فى العلم بفروعه ولقد كان من بين تلك الثورات ، ما أثر فى الأدب وتاريخه على نحو من الأنحاء كما نلمس فى كشوف ثورة علم الوراثة ، وكشوف ثورة علم البيولوجيا ، أو التطور ، وكان الأهم فيما يخص الأدب هو ما شهده القرن التاسع عشر من ثورة فى الدراسات التاريخية ،

"فلقد كانت هذه الثورة هى الأساسى الذى قامت عليه الدراسات التاريخية الحديثة ، وأصبح التاريخ علماً يهاجم المجهول من أجل الكشف عن غوامضه"[١٣].

لقد كان المؤرخ الألمانى "رانكه" Leopold Von Ranke (١٧٩٥ - ١٨٨٦م) هو عَلَمُ هذه المدرسة التاريخية ، وكان "رانكه" ينكر أى كتابة للتاريخ لا تستند إلى الوثائق ، والوثائق وحدها ؛ ولا تعترف هذه المدرسة التاريخية الألمانية بدراسة الماضى القريب ، فضلا عن دراسة الحاضر ، ولذلك نجد مستشرقاً هو " رودى بارت" يعتذر؛ لأنه حاول التعرض لحال الدراسات الاستشراقية المعاصرة فى الجامعات الألمانية فى كتابه " الدراسات العربية الإسلامية فى الجامعات الألمانية [١٤].

ولقد اتسع نطاق الدراسات التاريخية فى ألمانيا ، فوجدنا العلماء الألمان قد سبقوا غيرهم فى دراسة أحوال العرب قبل الإسلام، فيقول الدكتور حسين مؤنس "إن الباحثين الذين توفروا على دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام معظمهم من الألمان ، وقد نشروا أبحاثهم فى مجلات علمية "القرن التاسع عشر "[١٥].

(٢ -٢) ولا يوضح ما كتبه الألمان من مقالات ودراسات حول العرب ، والأدب العربى والإسلام أنهم كانوا سباقين إلى وضع تاريخ أدبى للعرب . لكننا فى نفس الوقت نلمس اهتمام الألمان بعلم اللغة التاريخى ، ودراسة الإسلام دراسة تاريخية تنطلق من اللغة والأدب ، ويوضح ذلك " رودى بارت" بقوله : " كان الشعر العربى قد أثمر أكرم ثماره، عندما انطلقت نغمات آيات وسور القرآن لأول مرة فى مكة ،وهو أقدم أعمال الثقافة الإسلامية العربية الخاصة المدونة . ولكن العالم الواسع المترامى الأطراف ما كان ليحس بالعرب لو لم يتحولوا بفضل صلتهم بالإسلام إلى عامل من عوامل القوة السياسية ويصبحوا بذلك ذوى أهمية - إن صح هذا التعبير - ولو لم يتلقف الناس القصائد العربية القديمة متأخراً لتكون شواهد على لغة القرآن المقدسة - لانتقلت هذه القصائد بالرواية إلى أنحاء البادية ثم لهوت إلى هوة النسيان ولما أصابت الشهرة التى أصابتها اليوم، لهذا كانت ظاهرة الإسلام تلقى أسبقية وأفضلية فى ميدان البحوث

الاستشراقية . أو على الأدق فى ميدان البحوث العربية الإسلامية[١٦].

وفى القرن التاسع عشر تصدى المستشرقون لتحرير أول تاريخ للأدب العربى، وكان العالم النمسوى "يوسف هارمر بورجشتال" Joseph Von Hammer purgstall (١٧٧٤ – ١٨٥٦م) أول من كتب تاريخاً للأدب العربى ، نشره بين سنتى ١٨٥٠ – ١٨٥٦م . ثم تلاه مواطنه "ألفريد فون كريمر" Alfred Von Kremer (١٨٢٧ – ١٨٨٩م). وقد نشر كتابه تحت عنوان " تاريخ عمران المشرق فى عصر الخلفاء سنة ١٨٧٧م[١٧].وكتب باسيه دراسة عن " الشعر العربى قبل الإسلام " نشرها سنة ١٨٨٠م[١٨]. ثم تلاهم كارل بروكلمان Carl Brockelmann(١٨٦٠ – ١٩٥٦) فى محاولته الأولى ، التى نشرها فى فايمار Weimar سنة ١٨٩٨م . وكتب كليمان هوار" تاريخا للأدب العربى من أصوله حتى زمانه بعنوان " الأدب العربى" نشر طبعته الأولى سنة ١٩٠٢م ، ثم طبع بعد ذلك مراراً ، وظل معولاً عليه فى بابه عند المستعربين الفرنسيين ، إلى أن زحزحه عن موضعه كتاب "بلاشير" (تاريخ الأدب العربى)[١٩].ثم صدرت أعمال أخرى لـ " دى غويه ١٩٠٦م، ونيكلسون R.Nicholson ١٩٠٧م.

(٢ –٣) وكلما تقادم العهد بهذه المؤلفات كلما قل الانتفاع بها ؛ لأنها ألفت فى وقت كانت المصادر فيه نادرة . إلا كتاب "بروكلمان" الذى انفرد بالضخامة والاستيعاب من ناحية ، وتفرد بمنهج خاص من ناحية أخرى ، وقبل أن نحدد طريقة "بروكلمان" التى اتبعها وتقسيمه لعصور تاريخ الأدب العربى نقدم وصفاً لهذا السفر العظيم ، يقول المستشرق الألمانى "رودي بارت" "كتاب الأدب العربى" الهائل لكارل بروكلمان، هو فى الحقيقة كتاب أساسى فى الدراسات العربية ، وهو لا يقتصر على الأدب العربى وفقه اللغة العربية بالمعنى الضيق ، بل يشمل كل ما كتب باللغة العربية من المدونات الإسلامية ،ويصبح بهذا عدة دارس العلوم الإسلامية التى لا محيص له عنها. وقد ظهر الجزء الأساسى من الكتاب فى مجلدين عام ١٨٩٨ وعام

١٩٠٢م ثم جاءت فى الأعوام ١٩٣٧، ١٩٣٨، ١٩٤٢ المجلدات التكميلية الثلاثة الكبيرة ، وظهر المجلدان الأول والثانى فى عام ١٩٤٣ ، ١٩٤٩ فى طبعة أخرى بعد تعديلهما ليتناسبا مع المجلدات التكميلية الثلاثة[٢٠]. أى أن بروكلمان ظل يعمل فى كتابه لأكثر من خمسين عاماً ، فهو قد نشره على مدى خمسين عاماً كاملة (١٨٩٨ – ١٩٤٩م) ولا بد أنه بدأ العمل قبل نشر الجزء الأول بمدة ، ثم هو لم ينقطع عن العمل فى الكتاب بعد سنة ١٩٤٩م، فقد طلبت منه الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية أن يتعاون معها فى ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية ، فبعث بروكلمان إلى هذه الإدارة بجزء كتبه بخطه، وباللغة العربية هذه المرة، يحتوى على تصميمات وزيادات لغرض إلحاقها بالترجمة، كما كانت خطة الترجمة تقوم على أساس ضم كل مادة إلى ما يناسبها من الكتاب الأساسى والملاحق ، من وضعه هو نفسه[٢١].

وقد قسم "بروكلمان" تاريخ الأدب العربى على النحو التالى:

أولا : أدب الأمة العربية من أوليته إلى سقوط الأمويين ١٣٢ هـ / ٧٥٠م

وتنقسم هذه المرحلة إلى الأقسام التالية :

أ- الأدب العربى إلى ظهور الإسلام.

ب-محمد (صلى الله عليه وسلم) وعصره.

جـ-عصر الدولة الأموية.

ثانيا : الأدب الإسلامى باللغة العربية

وينقسم إلى خمسة أعصر:

أ- عصر ازدهار الأدب فى عهد العباسيين بالعراق ٧٥٠ –١٠٠٠م تقريبا.

ب-عصر الازدهار المتأخر (منذ سنة ١٠٠٠ إلى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ١٢٥٨م.

جـ-عصر الأدب العربى منذ سيادة المغول إلى فتح مصر على يد السلطان سليم ١٥١٧م.

د- عصر الأدب العربى من سنة ١٥١٧ حتى أواسط القرن التاسع عشر.

هـ- الأدب العربى الحديث.

وبرغم قول"بروكلمان" "أن الإسلام لم يؤثر تأثيراً عميقا فى شعراء العرب[٢٢]. ليس مما نسلم به اليوم ، فإن تقسيمه لعصور الأدب على أساس سياسى قد أثر فيمن جاءوا بعده ، من المستشرقين والعرب على السواء ، ولقد كان اتجاهه إلى تمييز الأقاليم المختلفة داخل كل حقبة من حقب التاريخ العربى (الإسلامى بمصطلحة) مؤثراً أيضا فيمن جاءوا بعده.

لقد كان"بروكلمان" ينطلق فى عمله من منطلق " البحث الأدبى التاريخى" الذى يهدف فيه " علم الأدب" [٢٣]. :"إلى العناية بفهم ما كتبه شعب من الشعوب على أنه حلقة من حضارة ذلك الشعب ، كما يهدف إلى تفهم الكتاب الواحد من خصوصية المؤلف ومن مؤثرات المحيط الذى يعيش فيه" [٢٤]. إلا أنه اضطر أن يغير هذه الخطة مع بداية تأريخه للعصر الحديث إلى الاقتصار على الحياة الظاهرة للأدب[٢٥].

يبدأ "بروكلمان" كتابه بالجملة التالية :"ينقسم سكان شبه جزيرة العرب منذ القدم إلى مجموعتين شعبيتين تفصل فروق بعيدة العمق إحداهما عن الأخرى"[٢٦]. ثم كرر بروكلمان كلمة " الشعوب البدائية" عدة مرات فى الفصول الأولى من كتابه[٢٧]. كذلك قَصَّر بروكلمان عمر الشعر الجاهلى إلى مائة سنة قبل الإسلام[٢٨].وهذه كلها آراء لم نعد نقبلها اليوم لما فيها من خطأ قد يكون معذوراً فيه، حيث لم تسعفه المصادر وقتها، أو يكون فيها أثر لأحكام من سبقوه ممن تناولوا تاريخ العرب والمسلمين ، ومع ذلك فنحن نرى أن بروكلمان قد قدم للتراث العربى والإسلامى خدمة ستبقى اسمه غالبا فى سماء العلم مدى طويلا. لقد أصبح كتابه مصدرا لا غنى عنه لكل مشتغل بعلوم العربية والإسلام ، لما حواه من حصر دقيق مستوعب لما كتبه المسلمون والعرب باللغة العربية على مدى خمسة عشر قرنا من الزمان . ولقد كان بروكلمان واعيا بقيمة كتابه وبمجال فائدته لمن سيأتون بعده فقال :"وإذا كان على كتابنا أن يستثمر لنفسه مثل هذه الدراسات ،فلن يستطيع أن يطمع فى إنجاز البحث الخصوصى المتصل بجميع الدوائر العلمية الأخرى ، بل عليه أن يقتصر على إعداد المواد المطلوبة لمثل ذلك

البحث من التراجم وأخبار الكتب ،وأن يعبِّد الطريق على هذا النحو للتعرف على بواطن حياة الأدب العربى فى المستقبل"[٢٩].

ولقد أفاد كل من كتب بعد بروكلمان من كتابه ، وما يزال الأمل معقوداً بعد إتمام ترجمته من الألمانية ونشرها أن تعم الفائدة ، ويستفاد به فى كتابه تاريخ بل تواريخ أدبية حقيقة بهذا الاسم.

(٣)

(٣-١) بعد صدور الجزء الأول من كتاب "بروكلمان" بالألمانية فى "فيمار" سنة ١٨٩٨م، أخذت تصدر كتب عربية كثيرة يضع أصحابها لها عناوين تدخلها فى زمرة "تاريخ الأدب العربى " بحق أو بغير حق . لكن "كارلو نالينو" ذكر محاولة عربية قديمة فى تاريخ الأدب العربى تحت عنوان : "روضة الأدب فى طبقات شعراء العرب " تأليف إسكندر أغا أبكاريوس (ت ١٣٠٣هـ - ١٨٨٥م) ، دالا فيه لكل شاعر على عام وفاته من غير أن يبين كيف استخرج تلك السنين"[٣٠].وقد رجح "نالينو" أن يكون هذا المؤلف هو الذى ضلل فيه من جاء بعده بتلك التواريخ المخترعة التى ذكرها لأوائل الشعراء.

كما نشر إدوارد فانديك وفيليبوس قسطنطين "تاريخ العرب وآدابهم" فى بولاق ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م. وبعد صدور الجزء الأول من كتاب "بروكلمان"صدرت مجموعة من المؤلفات العربية تعالج "التاريخ الأدبى للعرب" وكانت هذه المؤلفات تحمل السمات التالية:

١- أن تكون مقالات فى المجلات ثم تنشر فى شكل كتب .

٢- أن تكون محاضرات تلقى على الطلاب ثم تنشر بعد ذلك.

٣- أن تكون كتباً ألفت لغرض التدريس للتلاميذ والطلاب فهى كتب تعليمية.

وقد صدرت فى هذه المرحلة المبكرة الكتب التالية :

أولا: تاريخ آداب اللغة العربية : من تأليف حسن توفيق العدل (١٨٦٢ -١٩٠٤م)

وهو باحث مترجم ،ولد بالإسكندرية وتعلم بالأزهر ودار العلوم ، وكان معلماً للعربية فى برلين ، وفى كمبردج ، ومات هناك[٣١].وكتابه "تاريخ آداب اللغة العربية " كان فى الأصل محاضرات ألقاها فى "دار العلوم " حينما كان يعمل بها أستاذا للأدب العربى، وهو محاولة جادة رائدة استفاد صاحبها من معرفته باللغات الأوربية ، فجاء عمله مقدمة منهجية لتاريخ الأدب ، قد أغفل قيمتها وفضلها كل من كتب بعد ذلك فى هذا الموضوع فى السنوات التالية ، فلم يذكره "نالينو" ولا "بروكلمان" ، ولا "طه حسين".

وقد التفت "حسن توفيق العدل" إلى أثر الإسلام فى تطور اللغة العربية وآدابها قائلا: "ألا ترى أن ابتداء زهو اللغة العربية ،وقيامها بمقتضيات العلوم والسياسة إنما كان منذ ظهور الإسلام ، فكان الراعى الأول الذى بعث من همم العلماء لخدمة اللغة هو الدين طلباً للوصول إلى معانى القرآن الكريم ، وتعرف الشريعة السمحاء[٣٢].

وقد قسم "حسن توفيق العدل" عصور الأدب العربى فى كتابه تقسيما لا يختلف كثيراً عما فعله بعد كل من "جرجى زيدان" أولاً ، ثم شوقي ضيف ثانيا، فجاء تقسيمه على النحو التالى:

١- عصر الجاهلية .

٢- عصر ابتداء الإسلام.

٣- عصر الدولة الأموية.

٤- عصر الدولة العباسية ، والدولة الأندلسية.

٥- عصر الدول المتتابعة إلى هذا العهد.

ويؤكد المؤلف على وحدة اللغة العربية الفصيحة بين العرب كلغة عامة مشتركة ألقى بها الخطباء وخطبهم وألف بها الشعراء قصائدهم ،وبذلك عصم نفسه من

الوقوع فى تقليد المستشرقين الذين زعموا وجود لغتين إحداهما فى الشمال والأخرى فى الجنوب كما سنرى.

ثانيا: أدبيات اللغة العربية: لمجموعة مؤلفين (هم : محمد عاطف بركات (وزير المعارف) والشيخ محمد نصار ، وأحمد بك إبراهيم ، وعبد الجواد عبد المتعال) جزءان صدرا فى بولاق ١٩٠٦م ، والمطبعة الأميرية ١٩٠٩م.

ثالثا: أدب اللغة العربية : محمد حسن المرصفى ، القاهرة ، ١٩٠٧م.

رابعا: تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية : حفنى ناصف ، مصر ١٩١٠ – ١٩١١م.

خامسا : تاريخ آداب العرب : مصطفى صادق الرافعى ، مصر ١٩١١م.

سادسا: تاريخ الآداب العربية: فى القرن التاسع عشر ، والربع الأول من القرن العشرين، للأب "لويس شيخو " اليسوعى (١٨٥٩ – ١٩٢٧م) ، وينقسم إلى :

أ- الجزء الأول من السنة ١٨٠٠ – ١٨٧٠ ، وصدر سنة ١٩١٠م.

ب- الجزء الثانى من السنة ١٨٧٠ –١٩٠٥ ، وصدر سنه ١٩١٠م.

جـ- الجزء الثالث ، فى الربع الأول من القرن العشرين ،وصدر سنة ١٩٢٦م. ويتميز هذا الكتاب ، عن سائر الكتب المماثلة له ،بأنه عنى بتقسيم الأدباء والكتاب إلى نصارى، ومسلمين ، ومستشرقين [٣٣].

وقد عرض "بروكلمان" لبعض هذه الكتب ،ولغيرها مما صدر بعد ذلك فى صدر كتابه ، وحكم عليها حكما استمده من طه حسين فى كتباه " فى الأدب الجاهلى " وفحواه أنها كتب ضئيلة القيمة . ولم يكن "بروكلمان " بحاجة إلى هذه الكتب فى أى طبعة من طبعات كتابه ، فمنهجه يستمد من المصادر التى ذكرها مفصلة وهى فهارس المكتبات ومصنفات القدماء . أما "نالينو" الذى كان يحاضر فى الجامعة المصرية زميلا لبعض مؤلفى هذه الكتب ، فقد قرأ بعض هذه المؤلفات ولم يصدر عليها "حكم الموت" كما صنع طه حسين وبروكلمان بل فند ما فيها من أخطاء.

(٣-٢) وإذا كنا حتى الآن لم نعدُ فى حديثنا كتاب "بروكلمان" باعتباره أول محاولة منهجية مؤثرة وباقية فى "تاريخ الأدب العربى" فإننا يجب أن نؤكد أن المؤلفات العربية التى ذكرناها حتى الآن لم تتأثر بعمل "بروكلمان" إما لأنها صدرت قبله ،أو لأن أصحابها لم يكن لهم إطلاع على الأصل الألمانى الذى صدرت أول ترجمة للجزء الأول منه فى القاهرة سنة ١٩٥٩ أى بعد ستين عاماً كاملة من نشر أول جزء من الكتاب ، لكن مؤلفاً عربياً واحداً ووحيداً اطلع على كتاب "بروكلمان" فى أصله الألمانى هو جرجى زيدان (١٨٦١ -١٩١٤) اللبنانى الذى هاجر إلى مصر وأقام بها وأسس فيها داراً للنشر ومجلة ما تزال تصدر إلى اليوم هى مجلة "الهلال" الشهرية " [٣٤].

كان جرجى زيدان قد زار (لندن) فى صيف سنة ١٨٨٦م، وكان يتردد على مكتبة المتحف البريطانى ،وهناك اكتشف الاستشراق الأوربى ، ولم يدع فرصة الاستفادة من هذا المصدر الجديد للمعرفة تفلت منه، وهو يصور لنا فى مقدمة كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية " معرفته بمؤلفات المستشرقين فيقول :"ولم يتصد أحد للتأليف فى تاريخ (الآداب العربية) على النمط الحديث قبل الإفرنج المستشرقين ،فهم أول من كتب فيه من أواسط القرن الماضى لكنهم لم يوفوه حقه إلا فى أول القرن ، أما فى العربية ، فعلنا أول من فعل ذلك ونحن أول من سمى هذا العلم بهذا الاسم "تاريخ آداب اللغة العربية "فنشرنا منه فصولا صدر أولها سنة ١٨٩٤ فى عدد الهلال التاسع من السنة الثانية ، وآخرها فى أواخر السنة الثالثة " ثم يقول "فقضينا بضع عشرة سنة ونحن لا تقع لنا شاردة إلا قيدناها ،وملاحظة إلا حفظناها وتدبرناها"[٣٥]. وهكذا أصدر جرجى زيدان كتابه فى أربعة أجزاء وتبلغ عدد صفحاته أكثر من ألف وثلاثمائة صفحة من القطع الكبير ،وقد تناول فيه تاريخ الأدب العربى منذ العصور الجاهلية القديمة حتى العصر الحديث (بداية القرن العشرين).

وقد وُصِف كتاب جرجى زيدان بحق بأنه أول محاولة منهجية لتاريخ التراث الأدبى عند العرب[٣٦]. ذلك أن كتاب زيدان فى صورته النهائية - كان قد انتفع

بمؤلفات المستشرقين وبمناهجهم وانتفع بعمل بروكلمان خاصة . فهو يدرس "العلل والأسباب السياسية والاجتماعية التى أثرت فى آدابنا على مر الأحقاب والعصور .. ويتسع بصر المؤلف فى الدراسة ، فيعرض من حين إلى حين للآداب الغربية وخاصة الآداب اليونانية"[٣٧].

وبدأ جرجى زيدان كتابه بذكر المؤلفات السابقة فى الموضوع ،بعد أن أشار إلى تاريخ التأليف فيه ، ثم قسم عصور الأدب العربى التى درسها على النحو التالى:

الجزء الأول : العصر الجاهلى وصدر الإسلام.

الجزء الثانى : العصر العباسى: الأول والثانى.

الجزء الثالث : العصر المغولى والعثمانى .

الجزء الرابع : العصر الحديث حتى تاريخ نشر الكتاب (١٩١١م).

وهو تقسيم يراعى العصور السياسية المختلفة التى مرت بها الدولة العربية الإسلامية ، لكنه يعود بالعصر الجاهلى وعمر اللغة العربية إلى مدى ابعد كثيرا مما زعمه بروكلمان ، كما يوسع دائرة وجود وحياة اللغة العربية لتشمل "عالم" الجزيرة العربية من اليمن إلى العراق ومن سواحل الخليج العربى إلى سيناء ،وهى رؤية أيدتها كثير من البحوث والكشوف الحديثة.

(٤)

(٤-١) وكانت الجامعة المصرية الأهلية قد فتحت أبوابها سنة ١٩٠٨م، وكانت الدروس فيها مسائية ، تلقى على المستمعين كمحاضرات عامة، و"فى ٢٤ مارس ١٩٠٨ اجتمعت اللجنة الفنية بسراى الأمير فؤاد بباب اللوق ، وتقرر أن يبدأ نشاط الجامعة فى اتجاهين : أولهما إيفاد بعثة من عشرة طلاب ، يدرس نصفهم الآداب، ونصفهم الآخر العلوم ، يوفدون إلى جامعات إنجلترا وفرنسا وألمانيا وسويسرا، ليكونوا نواة لهيئة التدريس بالجامعة ، وثانيهما : أن تبدأ الدراسة بأربعة دروس فقط :تاريخ الحضارة القديمة فى الشرق ،وتاريخ الحضارة الإسلامية ،

وتاريخ الآداب العربية ،وتاريخ الآداب الفرنسية والإنجليزية"[٣٨]. وقد كان لهذا المنحى الذى أعطى الصبغة التاريخية كل تلك الأهمية أثره الواضح على تاريخ الأدب ، ففى العام الدراسى الثانى أدخل مجلس إدارة الجامعة عدة تعديلات على مناهج الدراسة منها إدخال علم مقارنة اللغات ومنهج البحث التاريخى ،وأعلنت الجامعة عن مسابقة لتأليف كتاب فى تاريخ آداب اللغة العربية فى موعد أقصاه نوفمبر ١٩٠٩م. ثم رأت اللجنة أن توفد أحد خريجى دار العلوم إلى باريس لدراسة الأدب ؛ ليقوم بعد عودته من البعثة بتطبيق المناهج التى درسها على دراسة الأدب العربى [٣٩].

ويبدو أن الرافعى قد أصدر طبعة جديدة من كتابه "تاريخ آداب العرب" فى ظروف الإعلان عن المسابقة المذكورة لكنه لم يتقدم للمسابقة ، أما جرجى زيدان فقد تقدم بالجزء الأول من كتابه " تاريخ آداب اللغة العربية" وفاز بالجائزة[٤٠]. لكن جرجى زيدان لم يتمكن من التدريس بالجامعة ،وتولى حفنى ناصف (١٨٥٦ - ١٩١٩م) تدريس آداب اللغة العربية) ، والدكتور كارلو نالينو (الإيطالى) تدريس "تاريخ آداب اللغة العربية"[٤١].

(٤-٢) وفى هذا الوقت (بداية العقد الثانى من القرن العشرين) كان درس الأدب فى مصر بنحو ثلاثة مناحٍ كما حددها طه حسين هى :

١- المنحى الأول : هو ما كان يمثله الشيخ "سيد على المرصفى"(ت ١٣٤٩هـ -١٩٣١م) الذى كان يفسر لتلاميذه فى الأزهر "ديوان الحماسة" لأبى تمام ، أو كتاب "الكامل" للمبرد" أو كتاب" "الأمالى" لأبى على القالى". على طريقة اللغويين القدماء.

٢- المنحى الثانى : هو منحى "مدرسة القضاء الشرعى" و"دار العلوم" ، وهو مذهب فاسد لا يأخذ بحظ من أسلوب القدماء فى النقد ، ولا من أسلوب المحدثين فى البحث".

٣- أما المنحى الثالث: فهو ذلك الأوربى الـذى أدخلـه فـى الجامعـة المصريـة الوليـدة الأستاذ "كارلو نالينو" ومن خلفه من المستشرقين "[٤٢].

ولقد يصدق وصف طه حسين لهذه المناحى الثلاثـة علـى أنـها "طـرق تدريـس الأدب " أما التأليف فى تاريخ الأدب ، فـإن جرجـى زيـدان يعـد معـاصراً لنـالينو فـى محاولة تأليف دراسة منهجية لتاريخ الأدب العربى ، إن لم يكن سابقاً له بما قدم مـن فصول فى مجلة الهلال كما نقلنا عنه فيما سبق. بل هو اسبق منه فى نشر كتابـه سـنة ١٩١١م على الناس بينما ظلت محاضرات نـالينو مقصـورة علـى طـلاب الجامعـة حتـى نشرتها ابنته بعد ذلك بخمسة وأربعين عاماً كاملة" [٤٣].

ولقد أعد "نالينو" محاضرات لتدريسها لطلاب قسم الآداب بالجامعة المصرية، وقام بإلقائها على الطـلاب فـى العـام الدراسـى ١٩١٠ - ١٩١١م، وفـى العـام الدراسـى التالى ١٩١١ -١٩١٢م ، غزت إيطاليا ليبيا فمنـع "نـالينو" مـن التدريـس فـى الجامعـة مراعاة للشعور العام نظرا لأنه إيطالى الجنسية[٤٤].

وقد قسم نالينو عصور تاريخ الأدب العربى فـى محاضراتـه (المطبوعـة فـى كتابـه) إلى العصور التالية:

١- العصر الجاهلى .

٢- العصر الإسلامى حتى نهاية الدولة الأموية ١٣٢هـ.

٣- العصر العباسى الأول من ١٣٢هـ -٤٥٠هـ.

٤- العصر العباسى الثانى من ٤٥٠ -٦٥٦هـ أى هجوم التتار على بغداد .

٥- عصر الانحطاط من ٦٥٦ -١٢٢٠هـ

٦- النهضة الأخيرة :ابتداء من ولايـة محمـد علـى باشـا سـنة ١٢٢٠هـ- ١٨٠٥م إلى العصر الحاضر[٤٥] (زمن التأليف).

ويلاحـظ أنـه لم يدخـل العصـر الجـاهلى فـى العصـر الإسـلامى ، كمـا فعـل بروكلمان ، بل قال إن العصر الجاهلى "لا تدرك أوائله "فهو يـرى أن العصـر الجـاهلى

عصر طويل فيقول : " والحق يقال إن من يسرح أبصاره (كذا) فى رياض الشعر الجاهلى لا يجد فى شذراته التى نجت من أيدى الضياع ما يدل على كونه فنا صغير السن ، جميع ما نقل الينامنه يظهر لنا فى غاية الإتقان وزنا وتقفية ، وفى نهاية التفنن ... وهو يجمع رقة العبارة إلى دقة الإشارة ، ومتانة التراكيب إلى رشاقة الأساليب ، فليس من الممكن مثل هذا الكمال فى صناعة حديثة " ثم يقول "إن من المعلوم أن الكلام المنظوم عن أهل البادية سبق عهد شعر مهلهل وأمرىء القيس بمدة مديدة [٤٦]. وهذا الرأى يتفق مع ما توصل إليه محمود محمد شاكر ،وبعده عادل سليمان جمال مؤخرا ، فى مقاله "عمر الشعر الجاهلى ، عود على بدء " الذى رأى فى دراسته أن أقدم شعر مكتوب لدينا يعود إلى العقد الأول من القرن الثالث الميلادى ، وبذلك تضيف هذه الدراسة أكثر من قرن من الزمان إلى عمر العربية ، وبالطبع الشعر الجاهلى" [٤٧]. كما سبق لنجيب البهبيتى أن قرر هذه النظرية منذ سنة ١٩٥٠ حينما نشر كتابه "تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى"[٤٨].

(٤-٣) أمران لابد من ذكرهما حينما نذكر علاقة طه حسين بتاريخ الأدب هما: لقبه :"عميد الأدب العربى " و " المعارك الفكرية والأدبية" التى خاضها ذلك أن طه حسين لم يلقب بـ " عميد الأدب العربى " لأنه كان يكتب فى فنون متعددة من الأنواع الأدبية – وهو فى الحقيقة كتب فى فنون عديدة – بل لأنه كان صاحب رؤية للأدب العربى تنظر فى قديمة الموغل فى القدم ، كما تتحسس جديده الطالع حالا من بين أيدى المبدعين العرب . أما معاركه الأدبية والفكرية فكانت أيضا تمت بسبب أو أسباب عديدة لـ "تاريخ الأدب" فنحن لا نذكر مناهج الدراسة فى الأزهر ودار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى فى مصر مطلع القرن العشرين إلا ونذكر تاريخ الأدب ونذكر هجومه الشديد عليها جميعا، ونحن لا نذكر تاريخ اللغة العربية ، وعمر الشعر الجاهلى ،والجدل حول قضية الانتحال ، إلا ونذكر تاريخ الأدب العربى ، وآراء طه حسين فى كل هذه القضايا ، ونحن لا نذكر مناهج المستشرقين فى دراسة اللغة والأدب

العربى إلا ونذكر صدى ذلك كله عند طه حسين ثم عند معاصريه.

ولقد كان لنزوع الجامعة المصرية نحو الدراسات التاريخية كما بينا فيما سبق، أثره الواضح على طه حسين فى أثناء تلقيه دروسه فى الجامعة ، ثم حينما بعث إلى فرنسا ، فقد كلف بدراسة موضوع "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية" [٤٩] (١٩٢٥م)،وحينما نظر إلى حسين فى رحلة حياته المديدة(١٨٨٩ - ١٩٧٣م) كان " من الواضح أن جانبا كبيرا لا يستهان به من إنتاج طه حسين الأدبى العظيم يدخل فى نطاق التاريخ"[٥٠] كما قال بحق المستشرق الإيطالى "جورجيوديلافيدا" . ولقد كان للمستشرق الإيطالى "كارلونالينو" الأثر الأكبر فى اتجاه طه حسين نحو العناية بتاريخ الأدب على هذا النحو الذى نلمسه فى أعماله ، وهو ما يزال يعترف بفضله قائلا : "علمنى (كارلونالينو) كيف أستنبط الحقائق من النص، وكيف ألائم بينها ، وكيف أصوغها آخر الأمر علما يقرؤه الناس ، فيفهمونه ويجدون منه شيئا ذا بال"[٥١]. وكان نالينو - كما بينا من قبل - يحث طلابه على العمل فى هذا الاتجاه من أجل وطنهم وأمتهم العربية ، وكان يريد لهم أن يتحرروا من آراء القدماء الموروثة - عن حق أو غير حق - فكان لذلك كله أثره فى اتجاه طه حسين الذى قال يوما "إنني أريد أن أدرس تاريخ الآداب فى حرية وشرف"[٥٢].ولا شك أنه قد نال شرفا عظيما بما قدم لتاريخ الأدب العربى ،ولا شك كذلك أنه كان يدرك شرف الغاية من وراء عمله ، إلا أننا سنبقى فى شك من" مساحة " الحرية التى أعطاها لنفسه فى تحديد خصائص اللغة العربية ، وعمر الشعر الجاهلى ،وقضية الانتحال ، لأنها كانت حرية مقيدة بقيد عجيب ، هو نتائج البحوث والكشوف الأثرية فى شبه الجزيرة العربية ، وأن آراء القدماء ضرب بها عرض الحائط، على أنها باطل الأباطيل وقبض الريح ، مع أن العلم والعقل جميعا، يشهدون بأن هذه الآراء لا تكون موضع شك ، أو رفض إلا إذا جاءنا من العلم الحقيقى الموثوق ، ما يجبها ، ولم تكن تلك الكشوف الآثارية تمثل شيئا يمكن التعويل عليه فى هذا السبيل.

وحينما نقول ذلك اليوم فإننا نصور ما وقع ،وأصبح تاريخا ، لا نريد به أن نسجل شيئا ضد طه حسين ؛ لأن هذا البحث كله إنما شهد لطه حسين شهادة تجعله الاسم الأول فى " تاريخ الأدب العربى" إذا ما كتبت يوما ، قصة ذلك التاريخ ، ولكن هذا لا يمنع أن نرصد ، ما لاحظه عرب كثيرون ، وبعض المستشرقين ، من ولع لطه حسين بآراء المستشرقين.

ولقد يجوز لنا أن نستشهد بكلام طه حسين نفسه فى تصوير ذلك الولع إذ يصور ما كان يلاحظه هو وزملاؤه حينما يحضرون دروس الأدب واللغة والنقد فى الأزهر صباحا ، ثم يحضرون دروسا أخرى فى الجامعة الأهلية مساء ، فقد " كان الطلاب يوازنون بين شيوخهم أولئك الذين كانوا لا يعربون إلا حين يقرءون فى الكتب، فإذا تكلموا غرقوا وأغرقوا طلابهم فى اللغة العامية إلى أذقانهم ، أو إلى آذانهم، وبين أساتذتهم أولئك الأوربيين الذين كانوا يعربون حين يقرءون وحين يفسرون، وحين يخوضون فيما شاء الله من ألوان الحديث ، وكانوا يسألون أنفسهم كيف أتيح لهؤلاء الأوربيين ما أتيح لهم من العلم بأسرار اللغة العربية ودقائق آدابها، وكيف لم يتح هذا النوع من العلم لشيوخهم أولئك الأجلاء"[٥٣].

(٤-٤) ومن الواجب أن نؤكد أن كثيرا من المستشرقين لم يكونوا يؤيدون ما ذهب إليه زملاء لهم فى مسألة عمر الشعر الجاهلى ،وتاريخ اللغة العربية وتطورها من ناحية ، ومسألة الانتحال فى الشعر الجاهلى من ناحية أخرى ، وهاتان المسألتان هما أهم ما كان يعول عليه طه حسين من آراء المستشرقين فيما كتب فى " الشعر الجاهلى" (١٩٢٦م) و"الأدب الجاهلى" (١٩٢٧م) ، ولقد يسبق إلى الظن أن اسم "دافيد صامويل مارجليوث"(١٨٥٨ - ١٩٤٠م) D.S Margoliouth هو الاسم الوحيد الذى سوف يذكر فى هذا الصدد ، ولا سيما بعمله المعروف "أصول العشر العربى" (١٩٢٥) Origins of Arabic poetry ولكن هذا سوف يتبدد إذا علمنا أن مستشرقين آخرين ما يزالون يتعمدون صياغة أحكام قاطعة حول هذه القضية ، منها على سبيل المثال الحكم الذى يصدر به المستشرق الفرنسى المعروف ، ريجس بلاشير Regis Blacher

(١٩٠٠ – ١٩٧٣م) كتابه " تاريخ الأدب العربى (١٩٥٢م) إذ يقول فى أول سطر منه: " سوف لا نخضع فى هذا البحث من التاريخ الأدبى للعادة التى تقضى بالبدء بوصف إجمالى لجزيرة العرب ، إذ لم يشمل المجال العربى حتى أواخر القرن الأول للهجرة (السادس للميلاد) سوى قسم من هذه القارة ،ولم يكن له مع المناطق الواسعة أمثال عمان ومهرة إلا صلات غير مباشرة ومتقطعة ، فلنترك جانبا هذا المجال بوصفه تابعا لأمة أو بالأحرى بوصفه تابعا لعرق ، لأن العرب كغيرهم من الجماعات الإنسانية لم يؤلفوا كتلة أتنية خالصة من أى أثر أجنبى ، فإن المعيار الوحيد الذى نحتفظ به لتحديد المجال العربى هو من نوع لغوى"[٥٤]. ففى هذه الكلمات القليلة يضرب عصفورين بحجر واحد ، إذ ينفى عمر اللغة والأدب العربى جميعا إلى أى مدى أبعد من العصر الإسلامى ، كما يعتمد قضية الانتحال فى أسوء حالاتها ضمن كلامه فيما يخص الشعر الجاهلى [٥٥]. فالحقيقة أن تضييق "المجال العربى" هو فى نفس الوقت نفى للشعر الجاهلى ضربة لازب.

ولكننا على أية حال نعود لمرجليوث ، ونحن نتحدث عن طه حسين ؛ لأن الملابسات والظروف قد ربطت بينهما ، ذلك أن مرجليوث كان قد نشر مقاله المذكور فى " مجلة الجمعية الملكية الآسوية" JRAS فى عدد يوليو سنة ١٩٢٥م ثم أصدر طه حسين كتابه " فى الشعر الجاهلى" وتاريخ مقدمته ٢٢ مارس ١٩٢٦م.

ولقد حاول كثيرون نفى العلاقة بين العملين ، وكان أطرف تلك المحاولات هى مقالة موجزة ، عرض فيها مرجليوث لكتاب طه حسين فى طبعته الثانية الصادرة تحت عنوان "فى الأدب الجاهلى"[٥٦].

يقول مرجليوث فى عرضه ،أو بالأحرى تعليقه على الكتاب: "وفكرة الكتاب مماثلة إلى حد كبير ، للفكرة التى أدرت حولها بحثى عن " أصول الشعر الجاهلى" الذى نشرته هذه المجلة فى الوقت نفسه تقريبا الذى ظهرت فيه طبعه الكتاب الأولى، وبذلك توصل كلٌ مِنَّا مستقلاً عن الآخر تماماً إلى نتائج متشابهة"[٥٧].

وعلى أية حال فإن ذلك كله لا يقدح فى أن طه حسين كان صاحب الفضل العميم والتأثير الكبير فى دراسة الأدب العربى دراسة منهجية ،والتوجه نحو كتابة تاريخ الأدب العربى وامتد تأثيره من الجامعة المصرية إلى خارجها.

ولقد انتهت بصدور كتابى طه حسين " فى الشعر الجاهلى" (١٩٢٦) و" فى الأدب الجاهلى " (١٩٢٧م) مرحلة مهمة من مراحل التأريخ المنهجى للأدب العربى ، وبدأت بعدها مرحلة جديدة، شهدت إعادة طبع ونشر العديد من المصادر الأدبية العربية المهمة ، ثم أستأنف العرب عملهم فى كتابة تاريخهم الأدبى ، وكان لذلك قصة أخرى تستحق أن تروى ، وهى خارجة عن نطاق هذا البحث الموجز على أية حال.

الهوامـــش

١- ذكـر رينيـه ويليـك أن " توماس وارتـون Thomas warton كتـب أول تـاريخ لـلأدب الإنجليزى تحت عنوان : History of English poetry سنة ١٧٧٤م. راجـع نظريـة الأدب ، ترجمة . محيى الدين صبحى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بـيروت ١٩٨٧، ص ٢٦٧.

٢- راجع مقال : خوسية سالفيدار : الأدب الأمريكى والنقد الثقافى ، ترجمة : محمـد يونـس ، مجلة الثقافة العالمية، الكويت ١٩٩٨، عدد ٨٨ ، ص ١٧٤.

٣- لانسون : منهج البحث فى تاريخ الآداب ، ترجمة د. محمد مندور ، ملحـق بكتابـه " النقـد المنهجى عند العرب " دار نهضة مصر ، القاهرة ، د.ت، ص٣٩٧.

٤- د. مجدى وهبـة : معجـم مصطلحـات الأدب ، مكتبـة لبنـان ، بـيروت ١٩٩٤ ص ص ٢٩١ - ٢٩٢.

٥- كارلو نالينو : تاريخ الآداب العربية ، من الجاهلية حتى عصر بنى أمية ، دار المعارف ، ط٢ . القاهرة ١٩٧٠م، ص ١٨.

٦- لانسون : منهج البحث فى تاريخ الآداب : ص ص ٤٢٥ - ٤٢٦.

٧- طه حسين : فى الأدب الجاهلى . دار المعارف . ط١٢ ، القاهرة ١٩٧٧. ص٣٢.

٨- طه حسين : فى الأدب الجاهلى : ٣٠.

٩- المرجع السابق : ٣٠ -٣١.

١٠- رينيه ويليك : نظرية الأدب : ٢٧٠.

١١- فان تيجـم : الأدب المقـارن ، ترجمـة د. سـامى الدروبـى . دار الفكـر العربـى القـاهرة ط١ ، ١٩٤٨م، ص ١٠.

١٢- لانسون : ٤٢٠.

١٣- راجع : د. قاسم عبده قاسم : تطور منـاهج البحـث فـى الدراسـات التاريخيـة ، مجلـة عـالم الفكر، المجلد ٢٠، العدد الأول ، الكويت مايو - يوليو ١٩٨٩م ، ص ٢١٣.

١٤- رودى بارت : الدراسات العربية الإسلامية فى الجامعات الألمانية" ترجمة د. مصطفى ماهر ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٧، ص٣٤.

١٥- د. حسين مؤنس (محقق): مقدمة كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام لجرجى زيدان، دار الهلال ، القاهرة ، ص ٥.

١٦- رودى بارت : الدراسات العربية الإسلامية فى الجامعات الألمانية :٢٠.

١٧- راجع : كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ، الترجمة العربية للدكتور عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧، ١ : ٣٢.

١٨- د. محمود المقداد : تاريخ الدراسات العربية فى فرنسا ، عالم العرفة ، الكويت، ١٩٩٢م، ص ١٧٠.

١٩- المرجع السابق :٧٠.

٢٠- رودى بارت : الدراسات العربية الإسلامية فى الجامعات الألمانية : ٣٦.

٢١- راجع مقدمة د. عبد الحليم النجار لترجمة الجزء الأول ، ص : س .

٢٢- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى : ١ : ٣٦.

٢٣- علوم الأدب ، فقه الأدب (بالألمانية Literatur Wissenschaft) مصطلح ظهر فى أوائل القرن التاسع عشر لدى الكتاب الألمان ليحل محل مفهوم النقد الأدبى وتاريخ الأفكار الأدبية ، مجرداً كل ذلك من الاهتمام المباشر بآثار أدبية معينة اهتماماً يتضمن الحكم عليها ، فهو أوسع من مفهوم النظرية الأدبية والنقد الأدبى ، كما أنه محاولة لتطبيق مناهج علمية على مجموع الاهتمامات التى تميز المشتغل بالأدب نقداً أو تاريخاً أو إنتاجاً ، (راجع د. مجدى وهبة : معجم مصطلحات الأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٩٤م ، ص٢٩٢).

٢٤- بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ١ : ٤.

٢٥- بروكلمان : نفسه ١ : ٥.

٢٦- بروكلمان : نفسه : ١ : ٤١.

٢٧- بروكلمان : نفسه : ١ : ٤١ -٥٥.

٢٨- بروكلمان : نفسه : ١ : ٥٥.

٢٩- بروكلمان : نفسه : ١ : ٧.

٣٠- كارلونالينو : تاريخ الآداب العربية : ٧٠.

٣١- الزركلى : الأعلام ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٦م، جـ ٢ ص ١٨٦.

٣٢- راجع ، د. عبد الحى دياب : التراث النقدى ، قبل مدرسة الجيل الجديد، دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٨م، ص ص ٩٠ -٩٣.

٣٣- الأب لويس شيخو : تاريخ الآداب العربية (١٨٠٠ - ١٩٢٥م) ، منشورات دار المشرق، ط٣، بيروت ١٩٩٣م.

٣٤- راجع ترجمة جرجى زيدان فى نهاية الجزء الرابع من كتابه : تاريخ آداب اللغة العربية ، دار الهلال القاهرة د. ت ٤ : ٢٨٣ -٢٨٥ ، وفيه مصادر ترجمته.

٣٥- جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ١ : ٨.

٣٦- د. جابر عصفور : مفارقات البداية ، مقال فى جريدة الحياة ، لندن - القاهرة . عدد يوم ١١ / ٤/ ١٩٩٩م ، ص هـ (آفاق).

٣٧- د. شوقى ضيف (محقق) : مقدمة " تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان" ١ : ٥.

٣٨- د. رءوف عباس أحمد : تاريخ جامعة القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (تاريخ المصريين ٧٣) ، القاهرة ١٩٩٥ م، ص ٣٩.

٣٩- د. رءوف عباس : تاريخ جامعة القاهرة : ٤٢.

٤٠- شربل داغر : من " التراجم" إلى التاريخ الأدبى ، جريدة "الحياة" تصدر فى لندن، القاهرة عدد يوم ٤ أبريل ١٩٩٩م، ص ١٤.

٤١- راجع د. رءوف عباس : تاريخ جامعة القاهرة : ٤٣ ، ٤٤. ويقال أن جرجى زيدان منع من التدريس حتى لا يسند تدريس تاريخ الإسلام لغير مسلم وكتابه "تاريخ التمدن الإسلامى" هو المادة التى كان يزمع تدريسها ، ودرسها بدلا منه محمد الخضرى.

٤٢- طه حسين : فى الأدب الجاهلى ، دار المعارف ، ط١٢ ، القاهرة ١٩٧٧م : ٨،٧.

٤٣- كارلونالينو : تاريخ الآداب العربية ، ص ١٣.

٤٤- راجع : دونالد مالكولم رايد : جامعة القاهرة والمستشرقين ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، مجلة الثقافة العالمية ، عدد ٣٨، الكويت ، يناير ١٩٨٨م، ص ١٣، ويقول مالكوم "إن نالينو عاد للتدريس ١٩٢٧ -١٩٣٢ ثم عين عضوا بمجمع اللغة العربية ، سنة ١٩٣٣م (نفس المرجع ص ١٣).

٤٥- كارلو نالينو : تاريخ الآداب العربية : ٥٧ - ٦٠.

٤٦- كارلونالينو : المرجع السابق : ٦٨.

٤٧- عادل سليمان جمال : "عمر الشعر الجاهلى ، عود على بدء "مجلة "فصول" عدد صيف ١٩٩٦، ص ص ٢٨٩ -٣٠٨، والدكتور عادل سليمان جمال أستاذ الأدب العربى بجامعة أريزونا فى الولايات المتحدة الأمريكية.

٤٨- نجيب محمد البهبيتى : تاريخ الشعر العربى حتى آخر القرن الثالث الهجرى ، دار الثقافة، الدار البيضاء ، طبعة سنة ١٩٨٢، ص ص ٤- ٥.

٤٩- ترجمها إلى العربية محمد عبد الله عنان ، بيروت ، ١٩٧٥.

٥٠- جورجيوديلافيدا: طه حسين المؤرخ ، ضمن كتاب " طه حسين كما يعرفه كتاب عصره " دار الهلال ، القاهرة ١٩٧٤م ، ص ٩٨.

٥١- مقدمه طه حسين لكتاب نالينو "تاريخ الآداب العربية" ، ص ٩.

٥٢- طه حسين : فى الأدب الجاهلى : ٥٧.

٥٣- طه حسين : مقدمة : تاريخ الآداب العربية لنالينو : ٨.

٥٤- د.ر بلاشير : تاريخ الأدب العربى ، ترجمة د. إبراهيم الكيلانى ، دار الفكر ، دمشق ١٩٩٨،ص ٢١.

٥٥- لا يعترف بلاشير بشيء اسمه الشعر الجاهلى ، بل يسميه (الشعر ذو الطابع الجاهلى) راجع كتابه :ص ص ١٩٦ -٢١٥.

٥٦- نشر الدكتور إبراهيم عبد الرحمن نص المقالة فى جريدة الأهرام يوم ٧ /١٩٨٦/٢م ص ١٢ تحت عنوان " النص الكامل لمقالة مرجليوث فى براءة عميد الأدب العربى".

٥٧- المرجع السابق ، الصفحة نفسها .